مجلة الحقيقة للعلوم الاجتماعية والانسانية
EL - HAKIKA (the Truth)
Journal for Social and Human Sciences

المجلد: 22 / العدد: 02 / السنة: 2022 ص ص:308-319

ضمير "أنا " وطغيان الذاكرة في رواية "الطرحان " لعبد الله كروم

The pronoun "I" and the tyranny of memory in the novel "ATARHAN" by Adellah KEROUM

بوسماحة مويسي

جامعة طاهري محمد-بشار (الجزائر)، moiubous@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/17 **تاريخ القبول:** 2023 /05/04 **تاريخ النشر:** 2023 /06/15

ملخص:

نحاول في هذه المقاربة للمنجز الروائي " الطرحان " لعبد الله كروم أن نتوغل في بنيته السردية ، واعتماده على ضمير " أنا " المتكلم في محاتلة، تجعل القارئ غير الحذر يعتقد أنه امام رواية من نوع سير-ذاتية.

وقد اعتمد على الذاكرة وتشظياتها حتى تسمح له باللعب بالزمن من خلال تقنيات الاستباق والاسترجاع. عامدا الى إعادة الأحداث وصياغتها وفق منظوره ورؤيته .مسائلا التاريخ ومدينا لسلطة الأعراف وهيمنته بل بلوغها حد تشرد الناس وقطع أرزاقهم .رواية غرفت من الواقع وصاغته فنيا بالتخييل، رصدت الأحداث بكثير من الحميمية، وأثثت النص بالتراث الشعبي للمنطقة من خلال المرددات والأغاني الشعبية

كلمات مفتاحية: الطرحان؛ الأنا ؛ الآخر ؛ الذاكرة؛ الاستباق؛ الاسترجاع.

Abstract: We try in this approach to the novel "Al-Tarhan" by Abdullah Karroum to penetrate into its narrative structure, and its use of the pronoun "I" speaking in a misleading way, which makes the uninformed reader believe that he is facing to an autobiographical novel. And he relied on memory and its fragments to allow him to play with time through techniques of anticipation and recovery. Intentionally rehearsing events and formulating them from one's point of view and vision. Questioning history and being beholden to the authority and domination of customs, and even reaching t point of displacing people and cutting off their livelihoods. By songs and popular songs.

Keywords: "Al-Tarhan",; Ego;The other; Memory;. anticipation, recovery

مقدمة:

رواية " الطرحان*[1] تعالج موضوعا خاصا بسكان منطقة توات، في الجنوب الغربي للجزائر، ساد في فترة الخمسينات من القرن الماضي، أرقهم وشتت أسرهم ، وهجّر أبناءهم، بسبب عرف " الطرحان " وهو معاملة ريبوية ،كانت سببا في مآسي كثير من السكان.

ويلجأ عبد الله في سرده للأحداث الى بنية سردية اعتمدت على ضمير " المتكلم "أنا" واستحضار تلك الأحداث اعتمادا على الذاكرة، بل يعمد الى كشف خطورة " الطرحان "من خلال التطرق الى ما آل اليه مصير ثلاثة شبان من القرية، هاموا في بلدان أ خرى بسبب قطع أرزاقهم بمعاملة ريبوية، أخذت منهم كل ما يملكون، بل لم تكن هذه المعاملة الوحيدة، بل تظافرت عوامل أخرى منها الجفاف والجراد فضلا عن التهميش.

أحاول في هذه المقاربة أن أعتمد على البنية السردية للرواية وبخاصة بعض عناصرها ومن ثم الاجابة على اشكالية نجاح هذه الرواية من خلال الاعتماد على ضمير "أنا "المخاتلة للمتلقي اذ توهمه بأنه أمام رواية سير–ذاتية، وتعدد الأصوات هذا الى جانب توظيفه لتقنية للاستباق والاسترجاع والاستعانة بالمرويات والمرددات الشعبية، والنبش في التاريخ من خلال استحضار الذاكرة الفردية والجمعية قدرتها على البوح ولمكاشفة والإدانة. مستعينا بالمناهج الحديثة التي ارتكزت على البنية السردية للرواية.

الطرحان : القضية والصراع

يحاول الروائي عبد الله كروم معالجة " الطرحان " مرتكزا على الذاكرة لاستحضار فترة تاريخية لقرية نائية في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، يصارع أهلها التهميش والجوع، وقساوة الطبيعة وسلطة الأعراف، وتمايز السكان الإثني والطبقي، ومحددات العلاقة بينهم. صراع يومي من أجل البقاء، وعمل شاق ومضن خلال أيام السنة قد يؤتى أكله وقد لا يؤتى ، فلا حياة لهم ان جفت الفقارة أو قل ماؤها، كما لا حياة لهم إن لم تغدق عليهم النخيل بثمارها وتجود عليهم الأرض بخيراتها، وبالرغم من هذه الظروف القاسية كلها يبذل السكان جهدهم لضمان البقاء،

* [1] الطرحان معاملة تشبه الرهن ولكنها أصعب منه، بحيث في حالة عدم قدرة المدان على رد الدين ، فن أملاكه جميعها تنتقل الى الدائن.

وينفقون أموالهم لتعليم أبناءهم الفقه وتحفيظهم القرآن بل يبعثونهم الى قرى مجاورة عُرِفت عبر التاريخ بعلمها وبعلمائها.

و لم يكن أمر العيش سهلا أو هينا لأن الحياة في هذه القرية تتطلب الصبر والمثابرة ومواجهة نوائب الدهر، وخذلان الجغرافيا وما تواتر من أعراف سواء منها ما تعلق بالاجتماع وما أملته الظروف القاسية في هذه المنطقة المعزولة. إن الإنسان في مثل هذه المجتمعات المنغلقة والمعزولة، يخضع لما تمليه الأعراف أكثر مما يمليه العقل أم المنطق أم الدين، "وبذلك يصبح انفعال الشخصية بالموضوعات الخارجية لا فعلها فيها وتأثيرها عليها. فقدت تعطلت فاعلية الانسان وفعله بل أصبح معزولا في شرنقة ذاتية يتقبل السائد" (غرية،جنيفايف) ومع ذلك فان الواقع الانساني دينامي ومتغير. ومن ثم سيظل صراع الطبقات الاجتماعية متواصلا في محاولة لفرض رؤية طبقة ما على حساب طبقة أو طبقات اجتماعية أخرى "فإن الحديث عن الطبقات الاجتماعية، في جوهره العميق، حديث عن التعدد والحواري والنسبي.. ولعل الحديث عن المتطور، وهو نقض الأحادي، وعن الحواري، للأخلاقي، وعن النسبي وهو انكار للثبات والسكون. **(دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، 1999)**.

ولما كانت الرواية تعبير فكري مصدره البشر وليد وعي، كان لا مناص من حوار بشري يُعرِفهم بما استجد وبما أكل عليه الدهر :"فالرواية تحتاج الى تعبير فكري حديث عن العالم صدر عن وعي فعل البشر في واقعهم المتغير وعن حوار متبادل بين البشر يتعرفون على ما استجد وعلى ما تقادم أيضا" **(دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، 1999، صفحة 62)**.

وصراع السباعي ولد النجوم مع الحياة، هو في حقيقة الأمر صراع أهل قريته بل كل المنطقة، في مواجهة الضيم، وسلطة الأعراف: إن الذات المبدعة للعمل الأدبي ذات جماعية، وإن خالف العمل، بالمعنى التجريبي فردا" **(دراج، نظرية الرواية والرواية العربية، 1999، صفحة 49)**

استراتيجية الالتباس أو ضمير "أنا "المخاتل

إن دارس رواية "الطرحان" سيلتبس عليه الأمر في تحديد تصنيف هذا النص الروائي كونه "اتخذ من ضمير المتكلم "أنا" سبيلا لسرد الحكاية، بل هو الضمير المهيمن في النص، لتأتي بعد ذلك ضمائر أخرى مساعدة وكاشفة عن جوانب أخرى. من هنا يقع الالتباس فيما اذا كانت

هذه الرواية رواية سير–ذاتية أم أنها تخييل ذاتي." (GASPARINI, 2004, pp. 09-15)، أم وسيلة لتشتيت ذهن القارئ الذي تَعَوّد على قراءات معينة تصنف النص بطريقة تكاد تصبح قانونا. ولما كان استعمال الضمير المتكلم في الرواية يبعدها عن هذا التصنيف لأن الضمائر في العربية والفرنسية تغني بعضها عن بعض ، وذلك تبعا لسياقات متعددة ، فضمير المتكلم "أنا" قد ينزاح ويعوض ضمير " نحن " باعتباره ممثلا لفئة أو مجتمع ومتحدثا باسمهما، كذا بالنسبة لضير "نحن "سواء في سياق الخطاب المتعالي، أو في سياق توجيه الأوامر لمن هو أقل درجة من المتكلم، وضمير "أنتم" "المستعمل في سياق يراد منه الاحترام، فهو يعوض ضمير المخاطب أنتَ أو أنتِ **(Goldstein, 1985, p. يراجع(**.فانه على الدارس أن ينتبه الى ذلك لأن شخوص الرواية ما هي إلا وكلاء فعل. فحكاية السباعي ولد النجوم لها ارتباط بحكايات "بازا" والحساني الى جانب حكاية نادين والمكرش جونسون وغيرها من الشخوص. ومن ثم تتناسل هذه الحكايات وتتظافر لتكون نص " الطرحان "و الحكاية أو الحكايات هنا التي يستحوذ عليها ضمير "أنا" ليست طبيعية بل هي وسيلة ابداع "..و لأن الكتابة غير مرئية، فالحكاية لا يمكن أن تكون طبيعية، ومن ثم مجرد سرد حكاية، بل أصبحت مادة ابداع روائي" MICCIOLO, 1972, p.)يراجع(

من هنا فإنه من الخطأ اعتبار رواية " الطرحان " رواية سير–ذاتية لمجرد لجؤها الى استعمال ضمير المتكلم أنا والمتمثل في السباعي ولد النجوم، وإن امتلك اسما وتميز بصفات محددة، فهو هنا وكيل فعل، لا يحيل على مميز، بل تلك هي السمات التي تظهره في عالم التخييل. واستعمال هذا الضمير " المتكلم " ووسيلة فنية، فهو الى جانب حميميته، وقدرته على التعبير عن الذات من الداخل من خلال الخارج، يصاحب السارد ويوهم بأنه يسرد حكايته، وهو أيضا يتيح للسارد العودة الى الماضي، بواسطة الارتداد، إذ ينطلق من الحاضر — لآن–نحو الغوص في الماضي موهما المتلقي بأن الأحداث تقع أمام عينيه، بل يصبح شاهدا عليها. (ROBBE- GRILLET, 1963, p.يراجع(

وبذلك يتقمص ضمير "أنا " شخصية كما لو أنه صورة متخيلة له، وسرد وقائع الرواية بهذا الضمير يسمح بكشف تهميش الذات وتشظيها (ذات فردية أو جماعية)، إنها عملية تهدف الى تثبيت حضور البطل أو الأبطال في غيابه أو غيابهم. ووراء ذلك يختفي ما يبدو سيرة ذاتية للسباعي ولد النجوم ليفسح المجال للذات المسحوقة التعبير عن همومها وتهميشها

وأحلامها وانكساراتها، بل للحديث عن كينونتها ." عدت يا ناس ا أجل ا أنا السباعي ولد النجوم من أوزار حرب لاندوشينن من أوجاع حرب في أقصى الأرض...تغيرت أنا، وتغير الكثير من الناس في هذا العالم، بل لا مازالت البنات هنا على عادتهن القديمة، يحملن الجرار على رؤوسهن بعد أن يملأنها من (أمازر).. رجعت ميسور الحال، عائلا، أعرج، عكس اليوم الذي حرجت فيه قبل أكثر من عشرين سنة.. ليعود بي الزمن الى مسقط رأسي محملا بحقائب الذكريات التي ملأتها من تعاسة أيامي ومحنة عمري، ومغامراتي المثيرة، .." (**كروم، الطرحان –رواية– –، 2022، صفحة 11**).

فإن انطلق السارد من الحاضر والمتمثل في عودته الى قريته معتمدا على تقنية الاستباق التي يمهد بها لما هو آت من سرد فيما بعد بصورة تفصيلية، في شكل ايحاءات، اذ يقدم لنا كليشيهات وومضات من زمنين مختلفين، يعود بنا الى وضعه قبل العودة وحالة القرية وأهلها بعد عودته، وان تغير العالم كما تغير هو، فإن القرية لا زالت على صورتها التي احتفظ بها منذ عشرين سنة خلت. وبفضل تقنية الاسباق والاسترجاع التي استحضر فيها الذاكرة التي عادت به الى زمن انقضى، استطاع عن طريق اتقانهما من التنقل في النص من زمن الى أخر، بل استطاع أن يوهم المتلقي بالحقيقة (الوهم) فلا حقيقة الا حقيقة السرد كما يذهب الى ذلك جان ريكاردو.

إذا كان ضمير " أنا " يسمح لنا بالولوج الى الداخل والتوغل الى أعماق النفس، يعريها، ويقدمها كما هي لا كما ينبغي أن تكون. ولكن الخطر كل الخطر، في أن يكون هذا الداخل مغلقا، بحيث يصعب عليه التعبير عن ماذا يعرف عن نفسه؟ والضمائر التي نستعملها في خطاباتنا لا علاقة لها بالضمائر المستعملة في الرواية اذ غالبا ما يخص "أنا" ضمير "هو" وضمير "أنتم" و"أنت" يخصان ضمائر أخرى، وهو ما يعني دوران الضمائر فيما بينها.

فإذا كان المتكلم ليس المؤلف، بل هو السارد، الذي لا يمكن في الواقع سوى أن يكون نتاج لخيال المؤلف، يعبر عنه وعن بعض أفكاره، ووجهة نظره الى الواقع، وطموحاته، وآماله، وخيباته. ولا يعني في الرواية الخيالية، أن تحكي حكاية الذات بقدر ما تحكي حكاية فئة من المجتمع، تتوافق مع أفكاره وتتقاطع مع الآخرين، فيكون انزياح الضمائر في مثل هذا النوع من الرواية سلسا".. تحول بعد استقلالي به منتدى للشباب والأقران، يتسامرون فيه الى وقت متأخر من الليل .و يشربون فيه نخب الشاي ثلاث مرات في اليوم قابلة للزيادة دون النقصان." (**كروم،**

الطرحان، 2022، صفحة 22).و هو وإن تحدث هنا عن صورة للمخزن الذي استقل به، فإن ضمير المتكلم سراعان ما ينزاح الى ضمير "نحن" الشباب، وهكذا تصبح الحكاية حكاية ال "نحن".

ثم يصبح انزياح الضمائر لعبة للقص فينتقل من "نحن" الى "هو" وممن خرج مضطرا لذلك أيضا، الدّهاجي والد بازا.." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 22**) .و " هو " هنا ليس الأخر بل هو من "نحن" والأمر نفسه حيث انزياح الضمير "أنا" (المنزاحة الى "نحن") الى "أنتم " " سنحدثكم عنا وعنها. والتفاصيل الأكثر هي عند الناطق باسمنا السباعي " (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 34**) ، وهنا يتضح جليا أن دور " انا " هو النيابة عن نحن، وأن ما ورد في الرواية إنما هو حكاية الجميع. ومن هنا يتضح أن اكتظاظ الأنا بالآخرين وإن سردهم، فلم يكن ذلك الا دليلا على تشظياتها من الآخرين".. تشظيات الأنا الى مجموعة من الآخرين من الأنوات السابقة.. " (**صلاح، سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، 2003، صفحة 66**)

أما استعمال الضمائر الدالة على الأخر فهي ثلاثة أنواع:

- أخر من جلدتهم ومن قريتهم، ولكن اصطفافه الى جانب الظلم، والقهر، وتسببه في تشريد أبناء القرية من المستضعفين ، والاستحواذ على أرزاق البسطاء بغير حق، يجعل نظرة أهل يبعدونه من انتمائه اليهم (كالطالب قوش والنعيمي)

ا- النعيمي الانتهازي

صاحب المال والجاه والذي لا تهمه إلا مصلحته والمزيد من كسب المال.

" هذه الموجة الجديدة تدفع النعيمي بدء التفكير جديا في التَّربح واستغلال بؤس الناس، ومن أجل ذلك استرجع أحد بساتينه من الدهاجي" (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 43**)

ب- الطالب قلوش المصلحي

رجل حفظ القرآن ويستمسك كل أوراق القرية بما فيها الوصايا والطرحان ،و لكنه لا يطبق الشريعة بل استهوته المصالح.

" فتحت الباب على عجل، فاذا مولاي النعيمي ومعه الطالب قلوش الفُلاَّني المؤتمن على (الزُّمام) أو الكراسة الأغلى في القرية، يكفي أن قلمه خاتم، وأن شهادته على أي وثيقة تعني الحكم النهائي الذي لا يقبل النقض. (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 89**)

و يضيف " وجدت الطالب قلوش قد أنهى على ضوء شمعة وثيقة نقل سبختنا لتصير من أملاك النعيمي. ثم قال لي بقيت الدراهم. الدهشة تطوقني وصارحته أني لا أحوز المبلغ كاملا. فقال الطالب قلوش بحزم:(اذا عجزت في هذه الليلة فان داركم تصير له من هذه اللحظة، هذا هو الشرع). (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 92**)

- و آخر مختلف في كل شيء عنهم، غزا بلدتهم، وأنهكهم، ويتمثل ذلك في الرائد جونسون الذي وجب محاربته.

جونسون الحاكم الفرنسي الجنسية اليهودي الديانة

" عاد الرائد جونسون من بشار، وبشكل زائد من الحماسة. وقد اتضح مشروع فرنسا في الصحراء لديه ولدى العسكريين النافذين في قاعدة رقان من أمثاله، وظهر السرور والضحك على وجهه، وأكثر من شرب النبيذ حتى ازدادت خدوده احمرارا" (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 155**)

يضيف بعد ان زود المؤرخ الفرنسي، والباحث في التراث اليهودي الرائد جونسون ببحث عن الوجود اليهودي بإقليم توات بعد ان التقيا ببشار: " بعد هذه الزيارة تغيرت معاملة الرائد جونسون لي، وصار يكلفني أكثر من طاقتي، ويغضب مني لأتفه الأسباب، حتى أنه هددني بإعادتي للعمل في الرق الخالي ،و لاحظت أن سوء معاملته زادت بعد أن حاورني مرة عن قبيلتي واسم جدي الأول، وذكرت له أن نسبي يعود للشيخ سيدي الحاج المامون بالقصبة التي تسمى باسمه." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 156**)

- أخر وإن لم ينتم اليهم ثقافة واجتماعا ودينا إلا أنهم وجدوا فيهم الأنيس والحاضن والمساعد بل حتى الحب والحنان كما غمرهم بالاحترام، وكان لهم عونا على مصائب الدهر وخذلان العوز في غربتهم.(نادين المسيحية زوجة جونسون، وسو التي أصبحت زوجة السباعي، والدالاماتشو البوذي الديانة)

وبذلك يتحدد معنى الأخر لا على أساس الانتماء الوطني ولا الديني، بل يخضع ، الى نمط العلاقة والاحترام المتبادل.

ا– نادين المسيحية الطيبة

"هنا ضحكت وقالت: بعد رجوعه من الأخير، يبدو أن ديفد (جونسون)التقى بمؤرخ يهودي، يسمى بنيامين أوليال وأسلمه بحثا اطلعت عليه، وهو بحث حول (تاريخ اليهود بمنطقة توات)، ويعدد فيه آثارهم، وأنهم بنوا فيها القصبات الدائرية وفق هندستهم، وقد

سكنوا توات، وتمنطيط تحديدا، ولكن شخصا يسمى محمد المغيلي أجلاهم من هنا، ومحا وجودهم، وفي البحث أسماء القبائل التي ساندت محمد المغيلي.

- ما اسم القبيلة التي تنتمي اليها؟ سألتني نادين
- قبيلة سيد الحاج المامون المدفون في قصبته.
- في أي قرن عاش ؟
- في القرن التاسع الهجري.
- ضحكت نادين، والمغيلي في القرن الرابع عشر الميلادي، والتاسع الهجري وأوائل العاشر الهجريين، هل شارك معه في حربه؟
- أخبرني جدي الكعوي أن الحاج المامون كان من المشاركين في هذه الحرب، وساند المغيلي في غزوته.
- كارثة. لكن لا تخف سأتولى الآمر. أنا منذ ثلاث سنوات لم أر منك سوءا." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 157**)

وبذلك تكون نادين قد أباحت له بسر غضب وحقد جونسون وعلى قبيلته.

ب- **سو الفيتنامية ذات الأصول الأرستقراطية**

سو زوجت السباعي ولد النجوم، الفيتنامية ذات الأصول العريقة التي أحبته، مدت له يد العون في عذاب غربته هناك، بل قبلت بكل سهولة أن تدخل الإسلام وتعود معه الى قريته المنفية. "حاول كثير من الفيتناميين التودد اليها قطعا لحبل الحب بيني وبينها لكنها رفضت، وتعجبوا كيف لسليلة الأمراء والنسمة الأخيرة منهم أن تعشق اجنبيا لم يولد في قصور الأباطرة ووشوشوا للراهب دلاماتشو ليوقف هذه العلاقة الغريبة عن تقاليد السلالة المالكة.." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 209**). ثم يضيف في شأن شرطه للزواج منها ، فلم يجد أية معارضة، لا من الراهب دالاماشو ولا من سو ".. ثم ترجح لي أن أتزوجها، بشرط أن يكون الزواج وفق عقيدتي. أسر دالاماشو لي بوجود مسجد للمسلمين في قرية قريبة من هوي هو، وفيه شيخ وقور يعرفه، ولا يرى مانعا في إقامة زفاف على ما أراه.." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 209**).

ج- الراهب دالاماتشو البوذي المتسامح

إنه رجل الدين البوذي الذي أكرم السباعي ولد النجوم ووافق على زواجه من سو على شريعة الإسلام بل تربطه صداقة متينة بأمام المسلمين.

" وأقام لنا الدلاماتشو احتفلا كبيرا، وكرمني بحضور الجمهور والأولياء، وصرت مشهورا في مدينة هوي هو وأجزاء بمنطقة (ثوان هوا)." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 204**). وكان هذا التكريم جزاء ما قام به السباعي ولد النجوم والمتمثل في استعادة النطق لسو. وعن أخلاق الدالاماتشو وتسامحه، وعلاقته الطيبة مع امام المسلمين." ذهبت مع الدلاماتشو الى مسجد المسلمين، يقوده أحد شيوخ الطريقة المولوية، واسمه تقي الدين المولوي، ولما معمع الدالاماتشو تعانقا، وكانا صداقة متينة.." (**كروم، الطرحان، 2022، الصفحات 209-210**)..

و هؤلاء جميعا " الأخرون الذين يبدون مجرد أخرين، فبإمكانهم أن يتحولوا الى مرايا للأنا، وأ يعبروا عن أعماقها. ".. يكون الأخرون المذكورين مجرد آخرين، بينما يستطيعون أن يتحولوا في الوقت نفسه الى أبعاد عميقة للأنا، ومرايا لها، وليس شظايا أ آخرين.." (**صلاح ، سرد الآحر الأنا والآخر عبر اللغة السردية، 2003، صفحة 73**)

طغيان الذاكرة

على امتداد رواية "الطرحان" تشتغل ذاكرة السباعي ولد النجوم لتستعيد ماضيا له امتداد بالحاضر، ماضيا عرف فيه السباعي ولد النجوم في قريته كثير من الفرح والألم، تعلم فيها القرآن، وعرف فيها أبجديات الحب، وشرب وأترابه نخب الشاي كما تقاسموا حكايات عشقهم، وحلموا بالزواج والاستقرار، لتنقلب أحوالهم، حين تظافرت قوى الشر وقساوة الجغرافيا، وسلطة الأعراف، فشتت شملهم وهاموا في البلاد بحثا عن لقمة العيش.

تبدأ الرواية بهذه اللوحة الحزينة عن مصب ساقية (هنو):" الماء عند مصب ساقية (هنو) يخرخر كعادته، لكن هدير قوته الدافقة تراجع قليلا، ولم يعد لصوته رهبة كسابق عهده، عندما كان يفرض حضوره على بعد ميل ونحوه، رأسه مرقرقا في السواقي، لينجد الواحة المنسية ويمدها بأسباب الحياة". (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 11**). وربما طرح القارئ سؤلا عمن يتكلم هنا؟ (Qui parle?) اذ لا يتجلى ذلك الى بعد حين، حين يقدم السباعي ولد النجوم نفسه.

عدت يا ناس! أجل ! غدت. أنا السباعي ولد النجوم من أوزار حرب لاندوشين، من أوجاع حرب من أقصى الأرض.. تغيرت أنا، وتغير الكثير من الناس في هذا العالم، بينما لا زالت البنات هنا على عادتهن القديمة، يحملن الجرار على رؤوسهن بعد أن يملأنها من (أمازر)، ويعدن الى منازلهن فرادى وجماعات" (**كروم،**

الطرحان، 2022، صفحة 11). في إشارة الى توقف الزمن في القصبة بالرغم من تغير كل شيء، ولا شك أن للذاكرة دورا فيما ذهب اليه من خلال المقارنة بين الماضي والحاضر.

يعمد الروائي عبد الله كروم على الذاكرة لإعادة صياغة أحداث الرواية، مسائلا التاريخ الذي همشها، والجغرافيا التي قست عليها، والسياسة والأعراف التي دمرت الحياة بها، باللجوء الى عمليتي الاستباق والاسترجاع كونهما يشكلان رابطا مع الذاكرة، اذ يمنح اللجوء اليهما الانفتاح على العديد من الأسئلة، بوصفهما تقنية سردية، توثران في مجرى الأحداث وهما إن أتقنهما الروائي فإنه يستطيع أن يوهم المتلقي بسرد وقائع حقيقية ، بل هي تقنية سردية يفرضها ترتيب القص ""..لربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة المماثلة لها والتي لم تذكر، يعود السارد الى الوراء ليصاحب الشخصية مراعيا الالتحام بالنص، الأمر الذي ينجي النص من التفكك والتشتت ". (**سيزا، 1998، صفحة 40**).

" دخلت – أنا الغائب دهرا" الى القصبة التي قضيت فيها طفولتي وجزءا من شبابي، فوجدتها أطلالا.. وقفت عند حانوت النعيمي الذي صار يبابا، وفيه كُتِبت وثيقة الطرحان المشؤمة بيد الطالب (قلوش) ، أودعها في (زَمامِه).. أخذ التعب مني كل مأخذ، واستلقيت مع أسرتي عند دكانة العزاب، وبدأت أقص عليهم خوالي الأيام.. " (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 15**).

و في عملية استحضار للذاكرة والانتقال السلس من الحاضر(العودة") الى الماضي وبعد أن تذكر في الفقرة السابقة من كانوا سببا في تشرده (النعيمي والطالب قلوش) تعود به الذاكرة الى لحظة استعادة حقه بفضل وصية جده في مقابلة بين الباطل والحق ." مسحت عرقا سيالا، وتذكرت أنني التقيت هنا بالشيخ ابن مالك القبلاوي، ومنحني مخطوطا كان جدي قد أوصاه أن يوصله اليّ ان أصابته مصيبة الموت، وسافر ذلك المخطوط الوصية معي من الغرب الى الشرق.." (**كروم، الطرحان، 2022، صفحة 15**)

ومن هذه اللحظة سيعود الى فترة شبابه ومعاشرته لكل من بازا والحساني ، وتعلق كل واحد منهم بعشيقة، ويستحضر ليالي الطبل الشلالي وغناءه ، وما حدث من مصائب كانت سببا في تشتت الرفاق. متكأ على تقنية الاسترجاع الخارجي " باستعادة الأحداث التي تعود الى ما قبل بداية الحكي، أو هي نوع من الاسترجاع الذي يعالج أحداثا في سلسلة سردية تبدأ وتنتهي قبل نقطة البداية المفترضة للحكاية الأولى" (**خليل، 2021**) .

وهو يهدف بكتابة الذاكرة، من خلال تقنيات الاسترجاع والاستباق الى التحرر من زيف التاريخ وأوهامه، بلجوئه الى التخييل في مستوياته الفنية والجمالية، والاهتمام بالأحداث الكبرى والصغرى وبالاعتماد على لغة شفافة وجذابة. " لا يمكن لأي خطاب، مهما كان قريبا أو بعيدا عن عالم الأدب، أن ينفلت من أسر وأثر الذات والتاريخ والأيديولوجيا، وتتأخذ الرواية

شرعيتها من قدرتها على صهر كل ذلك في رؤية ثقافية بصوع جمالي: شكلا باختيار الصيغة المناسبة للحكي والعرض، أما المستوى الدلالي فإن الرواية تبوح بقضايا تتجاوز المباشر الى التخييل". **(حليفي، 2016، صفحة 91)**

وقد يتساءل القارئ: هل يكفي الاعتماد على الذاكرة وتوظيف ضمير المتكلم لتصنيف الرواية على أنها رواية سير–ذاتية ؟ إن فسح المجال أمام رواة آخرين، منهم بازا الذي يتحدث عن نفسه في الجزء رقم 16 وبضمير المتكلم "أنا"، أو نادين من خلال رسائلها (ص207) ومحاورتها إياه، فانه يدل على تعدد الأصوات وبالتالي تعدد رؤاها واذ يستعين بهما ويسلمهما مقاليد القص فإن ذلك يخرجها من كونها رواية سير ذاتية.

لقد حققت هنا الذاكرة القدرة على كشف تجاوزات الماضي وإعادة معايشة تلك الحقبة المظلمة من التاريخ لا للاحتفاء بها بل من أجل كشفها وإدانتها، والبوح والمكاشفة. وإن احتوت على مشاهد لماضي الطفولة والمراهقة السعيد فإنها تطرقت الى الخيبات والانكسارات والى المآسي ومصائر الناس.

خاتمة:

حاولنا من حلال مساءلة النص الروائي " الطرحان "لعبد الله كروم، وبخاصة بنيته السردية، وتوظيفه ضمير "أنا " المتكلم الذي يوهم القارئ بأن النص ينتمي الى الرواية سير ذاتية، يضاف الى ذلك طغيان الذاكرة في النص بما يضفي من واقعية على الأحداث، وارتباطها بالذات .أن نكشف عن جوانب فنية وقرائن تقنية استطعنا من خلالها تبيين أن استعمال ضمير "أنا" المتكلم ينزاح الى ضمائر أخرى فتصبح الحكاية حكاية " نحن " يمثلها ضمير " أنا " باعتباره ناطقا باسمها. وأن الاعتماد على الذاكرة هو بحد ذاته عملية انتقائية للأحداث ، مطعون في صحتها ومن ثم في واقعيتها، وأن للتخييل دورا في تشكل أحداث الرواية، وأن اللجوء الى تقنيتي الاستباق والاسترجاع ما هو الى وسيلة لكسر خطية الزمن وتلاعب به.

المراجع

باللغة العربية

شعيب حليفي. (2016). *ثقافة النص الروائي*. الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس.

صالح صلاح . (2003). *سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية*. الدار البيضاء: المكز الثقافي العربي.

صالح صلاح. (2003). *سرد الآخر الأنا والآخر عبر اللغة السردية*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عبد الله كروم. (2022). الطرحان.

عبد الله كروم. (2022). *الطرحان*. برج بوعريريج: دار الخيال.

عبد الله كروم. (2022). *الطرحان*. برج بوعريريج: دار الخيال.

عبد الله كروم. (2022). *الطرحان –رواية––*. برج بوعريريج: دار الخيال.

فيصل دراج. (1999). *نظرية الرواية والرواية العربية*. الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.

فيصل دراج. (1999). *نظرية الرواية والرواية العربية*. الدار البيضاء: المكز الثقافي العربي.

فيصل دراج. (1999). *نظرية الرواية والرواية العربية*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

قاسم سيزا. (1998). *بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ*. القاهرة: الهيأة المصرية العامة للكتاب.

لوسيان قولدمان، نتالي ساروت، آلان روب غرية،جنيفايف. (بلا تاريخ). *الرواية والواقع*. (رشيد بن جدو، المترجمون) الدار البيضاء.

GASPARINI, P. (2004). EST-IL JE? (éd. POETIQUE). PARIS: Seuil.

Goldstein, J. (1985). Pour lire le roman. Paris et Bruxelles: Grasset Bernard.

McHill. (2015.(

MICCIOLO, H. (1972). " La jalousie"de robbe-grillet-. Paris: Hchette.

ROBBE-GRILLET, A. (1963). Pour lire le roman. Paris: Minuit.

.(2017) .

المقالات

رنا صباح خليل. (22 سبتمبر، 2021). تقنيات الاسترجاع والاستباق السردي. (وكالة الصحافة المستقلة، المحرر) تاريخ الاسترداد 10أكتوبر الاسترجاع والاستباق، 2022، من :https://mustaqila.com/

https://mustaqila.com/الات